(هكذا أنتَ تألّقتَ بعدما تعلّقْتَ بجوهرِك)

كأنّ َ متاهةَ صفحتِكَ في دهاليزِ الشّعرِ قد ولّ َت

قد انطوتْ إلى غيرِ رجعةٍ، قد تلاشت

حتى إنّ َك قد مزّ َقتَ أوراقَ مجلّ َداتِكَ كلّ َها

تخلّ َصتَ منها مثلما تخلّ َصَ التوحيديّ ُ مِنْ كتبٍ له

لا ليأسٍ، بل لنضجٍ، لحسّ ٍ جماليّ ٍ تنامى

هو فارسُ النثرِ الذي وصلَ َنا منه ما وصل

هو أحرقَ ما في جعبتِهِ مِنْ نبال

مِنْ نبالٍ لا تعكسُ قوةَ بريهِ، قوةَ صناعتِه

إنّ َهُ فارسٌ يكفيهِ ما يكفيه

يكفيهِ سيفٌ واحدٌ، يكفيهِ ما يَتلألأُ فيه مِنْ لمعان

فما جاءنا مِنْ نَوعيّ ٍ منه يُرضيه،

يُرضيهِ نعمْ يُرضيه

إلا ما لمْ تستطعْ ألسنةُ نارِهِ التهامَه

وما ذاك سوى شيءٍ قليل

لكنّ َ شجاعتَهُ أثبتتْ وجودَ اسمِهِ، رَسّ َخَتْهُ

ذلكَ دَيدَنُ كُلّ ِ مَنْ مَلَكَ حسّ َهُ المرهفَ مِنهم

مِنْ شاعرٍ، مِنْ ناثرٍ، مِنْ أديب

مِمّ َن يُدركونَ قيمةَ التخلّ ُصِ مِنْ أشياء

قيمةَ ذائقتِهِم التي لا تُغريها الكثرة

لا يُثنيها الانبهارُ المطلقُ بالنفس

هي مثلُ أشجارٍ نفضيّ َةٍ تُجدّ ِدُ نفسَها

تُسقطُ أوراقَها الباليةَ انتصاراً للجمال

مثلما أسقطتَ أنتَ أوراقَك

مثلما قلتَ للنزعةِ الاستحابيّ َةِ اغربي عن وجهي

مثلما احتفظتَ بقصائِدِكَ التي تَصلحُ أن يَتغنّ َى بها الأطفال

يَتغنّ َى بها بائعُ الطيّ َاراتِ الورقيّ َة

بائعُ السمبوسةِ، بائعُ الفلافلِ في سوقٍ شعبي

بائعُ البليلةِ عند بابِ متنزّ َهِ أطفالِكِ المفضّ َل

بائعُ الصبعبلي ، بائعُ الشباتي القديم

وكذلك يَتغنّ َى بها أستاذُ الأدبِ والنقدِ على طريقتِه

يَجعلُها متناً ، ويَجعلُ محاضراتِهِ حاشيةً عليها

يُبرهنُ بها على ماهيّ َةِ الجمالِ بلحاظِ اتحادِ ماهيّ َتِهِ بوجودِه

هكذا أنتَ صرتَ أنتَ بعدما تخلّ َصتَ منها

مِنَ الزوائدِ التي أنقضتْ ظهرَكَ ، دسّ َتْكَ في التراب

هكذا أنتَ تألّ َقْتَ بعدما تعلّ َقْتَ بجوهرِك

وتركتَ العرَضَ لِمَنْ ثبّ َتَهُ

لِمَنْ نَزّ َلَهُ منزلةَ الجوهرِ في وعيهِ أو في لا وعيه

لِمَنْ يَحرصُ على كلّ ِ شيءٍ لديه

لِمَنْ يتعالى لشدّ َةِ التصاقِهِ بالأرض

لِمَنْ يُلَمّ ِعُ عيبَ ما أنتجَ ببشّ ِ رؤى نَقْدٍ تَخدمُهُ

هو يظنّ ُ أنّ َها تَخدمُهُ ، هو يَظن

يَتَلَهّ َى بها كما يَتَلَهّ َى فاقدُ البقاءِ بآمالِه

بيدَ أنّكَ تَتَلَهّى بالتخلّصِ ممّا ذَوَى لديك

فالتخلّصُ يَصنعُ خلاصةَ خلودِكَ، يُدبّرُ أمرَ خلاصِك

ولذلكَ صرتَ أنتَ مُذْ صرتَ الناسَ في رجلٍ

حينَ تَرفّعتَ عن تشبيهِ ناسِكَ بالبقرِ التي لا تَفهمُ نصوصَك

حينَ حضرَ أُمسيتَكَ الشعريّةَ طَرَفَةُ بنُ العبد

حضرها ابنُ الرومي، حضرها أبو دُلامة

حضرتْها تَودّدُ الجاريةُ، حضرتْها خنساءُ الشعرِ الشعبيّ فِدْعَة

حضرتْها نازكُ الملائكةُ، حضرها السيّاب

حضرها المنهكونَ في سوقِ الصّفّارينَ مع خليلِهم العبقري

خليلِهِم الذي استلهمَ أنغامَ الشّعْرِ منهم

مثلما استلهمتَ مِنْ دقّاتِ قلوبِ ناسِكَ الجمال

مثلما أبقيتَ كُلّ قصيدةٍ لكَ، لهم

وأبقيتَ نفسَكَ في حقيقةِ نفسِكَ، فيهم

في الرؤى التي تَصِلُكَ منهم، تَخلقُ حروفَ قصيدَتِك

حروفَها التي تَعبرُ بها إلى ضفّةِ الخلود.